المعالم الأثرية الاسلامية بمدينة قسنطينة خلال الفترة العثمانية

د. عبد القادر دحدوح

- جامعة تيبازة-

تمهيد:

تعد مدينة قسنطينة من أكبر المدن الجزائرية وأعرقها، وهي لا تزال تحتفظ بمعالم أثرية ترجع إلى فترات تاريخية مختلفة، ولعل من أهمها المعالم الأثرية التي ترجع إلى الفترة العثمانية، والتي درسنا منها: جامع سوق الغزل والجامع الأخضر وجامع سيدي الكتاني، ومدرسة الجامع الأخضر ومدرسة سيدي الكتاني وزاوية عبدالرحمن باش تارزي، وزاوية سيدي عبدالمؤمن وزاوية حنصالة، وقصر أحمد باي الذي يعد تحفة معمارية وفنية ومن أفخم القصور بالجزائر، إضافة إلى عدة مساكن وحمامات وفنادق لا زالت تحافظ على أصالتها، وقد أخذنا منها نماذج متمثلة في دار الدايخة بنت الباي وحمام سوق الغزل وحمام البجاوي وفندق بني مزاب.

أولا/ المساجد:

1/ جامع سوق الغزل:

يقع جامع سوق الغزل أو جامع حسن باي، شرق قصر أحمد باي، إلى الغرب من شارع ديدوش مراد، وهو من بناء الباي حسين بوكمية، الذي حكم

* هذا المقال هو فصل من كتاب المعالم الأثرية الإسلامية بمدينة قسنطينة، سيصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف في إطار تظاهرة قسنطينة عاصمة الثقافة العربية 2015.

بايلك قسنطينة بين سنتي 1125م - 1149هـ/1713 - 1736م[1]، حيث يرجع تاريخه حسب ما هو مسجل على اللوحة الرخامية التأسيسية التي توجد حاليا بقصر أحمد باي إلى سنة 1143هـ/1741م[2].

المخطط العام للجامع عبارة عن شكل مستطيل يتكون من مدخلين رئيسيين يقعان في الحائط الغربي ينفتحان على رواق عرضي فتح في طرفيه بابان أحدهما يؤدي إلى غرفة تقع في الركن الغربي الجنوبي والثاني يؤدي إلى ممر خاص بالنساء، كما فتح في الجدار الشرقي لهذا الرواق بابان يؤديان إلى بيت الصلاة.

بيت الصلاة مستطيل الشكل(23.60×19.30م)، وهو مشكل من سبع بلاطات عمودية تتقاطع مع خمس بلاطات موازية لجدار القبلة، تحدها صفوف من الأعمدة ذات قواعد وأبدان أسطوانية، تعلوها عقود منكسرة ومتجاوزة، ترتفع فوقها سبعة عشر قبة توجد في أركانها الأربعة حنيات ركنية على شكل محارة مشعة، وقد فتح في أغلب هذه القباب نافذة في قمتها غطيت بالزجاج في شكل وردة ثمانية الفصوص تتوسطها دائرة، وأحيانا نجد في مكان القباب أقبية متقاطعة، وقد بلغ عددها ثماني عشرة قبوا، يوجد أغلبها في البلاطة الأولى والثالثة والخامسة الموازية لجدار القبلة، وكأنها تتناوب مع القباب بالتوازي مع جدار القبلة.

ويتقدم البلاطات في منتصف جدار القبلة محراب نصف دائري تغطيه في الأسفل بلاطات خزفية تعلوا أقبية ذات زخارف جصية بديعة تشبه كثيرا

1) - ابن المبارك (الحاج احمد)، المصدر السابق،ص20 - 23. انظر أيضا: ابن العنتري (محمد الصالح)، فريدة منسية، المصدر السابق، ص71 - 72.

2) - CHERBONNEAU.A, «Sur Une Inscriptions Arabes trouvée à Constantine», in : Annuaire de la société Archéologique de la province de Constantine, 1854-1855, PP.102-107.

زخارف محراب جامع سيدي الكتاني، أما واجهته فهي مزدانة بعمودين رخاميين يعلوهما تاجان ينطلق منهما عقد نصف دائري، وفوق هذا العقد ومن حواليه زخارف جصية متنوعة خاصة النباتية والهندسية، كما زين جدار القبلة عامة بهذا النوع من الزخرفة في جانبه العلوي في حين كسي السفلي منه ببلاطات خزفية هي الأخرى ذات أشكال وألوان وزخارف متعددة.

أما فيما يخص باقي الجدران فقد تعرضت إلى تغييرات كثيرة أفقدتها أصالتها الفنية، فهي مكسوة ببلاطات خزفية حديثة وخالية من أي زخارف جصية وفضلا عن هذه التغييرات الفنية فقد عرف المسجد تجديدات في عمارته في زمن الاستعمار الفرنسي خاصة الذي استغل فيه المسجد آنذاك ككاتدرائية، حيث فتح الجدار الشرقي ووسع لتشيد في مكانه قبة كبيرة مضلعة، واستحدثت في ركني بيت الصلاة بهذه الناحية غرفتان، فظلا عن الرواق الذي يقع خلف بيت الصلاة في الجهة الشمالية وهو يوصل إلى بيت الوضوء الذي يقع خلف القبة الكبيرة المستحدثة.

أما صحن الجامع فلم يبق له الآن أي أثر يذكر، ولا ندري في أي جهة كان، ولكن الحقيقة التاريخية على ما ورد في كتاب أحمد بن المبارك بن العطار فإن المسجد كان له صحن[1]، ويحتمل أن مكانه كان في الجهة الشرقية للجامع حيث ترتفع القبة الكبيرة التي بناها الاستعمار الفرنسي.

المئذنة هي الأخرى ليس من السهل الحديث عنها، ففي هذا الجامع توجد حاليا مئذنتان، إحداهما تقع في الركن الشمالي الشرقي، والثانية في الجهة الغربية، وكلاهما مربعتا المسقط، وهما مستحدثتان.

1) - ابن المبارك (الحاج احمد)، المصدر السابق، ص30 - 31.

2/ الجامع الأخضر:

يقع الجامع الأخضر، بوسط المدينة بالقرب من رحبة الصوف، وهو يطل على شارع سيدي لخضر، وقد كان بناؤه في أواخر شهر شعبان 1156هـ/أكتوبر 1743م، على يد الباي حسين المدعو بوحنك الذي تولى بايلك قسنطينة بين سنتي 1149 - 1168هـ/1736 - 1754م[1].

1) -ابن المبارك (الحاج أحمد)، المصدر السابق، ص19 - 20. انظر أيضا: ابن العنتري (محمد الصالح)، فريدة منسية، المصدر السابق، ص68 - 71.

يتكون الجامع الأخضر من طابقين، الأرضي به مجموعة من الحوانيت المتقابلة يفصلها فراغ في شكل ساباط، يتجه من الشرق إلى الغرب، في وسط ضلعه الشمالي يوجد ساباط يتفرع عنه يتجه عموديا عليه، وهو عبارة عن ممر فتح في ضلعه الشرقي باب يؤدي إلى بيت الوضوء، يقابله باب في الجدار الغربي يؤدي إلى السلم الذي يصعد منه إلى الطابق العلوي، وفي نهاية هذا الساباط الشمالي يوجد باب يفضي إلى ساحة أو صحن تقع خلفها قبة ضريحية دفن فيها مؤسس الجامع إلى جانب الباي حسين بن حسن بوحنك(ت1209هـ/1795م) والأمير حسن(ت1214هـ/1799م)[1].

كما يتفرع عن الساباط الرئيسي ساباط ثاني عمودي هو الآخر يقع غرب الأول وبالتوازي معه، وهو يؤدي إلى طريق ثانوي للمارة خلف الجامع، وفي جداره الشرقي فتح باب يفضي هو الآخر إلى السلم الصاعد إلى الطابق العلوي.

الطابق العلوي يتشكل من بيت الصلاة، وهو يعلو الحوانيت، مقاساتها (15.20×12.60م)، فتح في ضلعها الشمالي بابان من مصراعين، وهي تتكون من خمس بلاطات موازية لجدار القبلة، تقطعها بلاطة وسطى عمودية، وعلى يمين ويسار هذه البلاطة توجد أربعة أساكيب عمودية، إثنان في كل جهة.

وهذه البلاطات محددة بأعمدة رشيقة تتشابه قواعدها التي ترتكز عليها وهي مشكلة من جزء مربع تعلوه حلقة دائرية بارزة ثم تضيق لتعاود إلى البروز ثانية وبأقل من الأولى، ومنها ينطلق بدن العمود، وهو الآخر طراز واحد اتبع في أعمدة بلاطات هذا الجامع، والذي يتميز بقصره الذي لا يتجاوز 1.40م، وبشكله الأسطواني، يعلوه تاج من الطراز الحفصي[2]، وفوق الأعمدة وضعت دعامات

1) - للمزيد أكثر حول هذه القبور وأصحابها انظر: معزوز (عبد الحق) ورياس (لخضر)، المرجع السابق، ص167 - 168، 194 - 195، 198 - 200، .

2) - بورويبة (رشيد)، قسنطينة، المرجع السابق، ص109. وحول التيجان الحفصية انظر: الدولاتلي (عبد العزيز)، مدينة تونس في العهد الحفصي، تعريب محمد الشابي وعبد العزيز الدولاتلي، دار سراس للنشر، تونس، 1981، ص161.

تقوم عليها عقود نصف دائرية وأحيانا متجاوزة خالية من أي زخرفة ما عدا العقود التي تعلوها القبة التي تتقدم المحراب والقبة التي تتوسط بيت الصلاة والتي تنتهي حوافها بفصوص.

ويتصدر بيت الصلاة محراب نصف دائري مشكل من جزأين السفلي مكسو بالبلاطات الخزفية، والعلوي في شكل محارة مشعة، أما واجهته فهي تتكون من عمودين مزدوجين في كل جهة، وهما يختلفان عن الأعمدة السابقة الذكر من حيث التيجان التي جاءت من النوع المركب مزينة بأوراق الأكانتس وزهرة اللاله وحلزونيات، يعلوهما عقد نصف دائري، وبجوار المحراب يوجد منبر خشبي تزينه حشوات هندسية وفي باب المقدم توجد كتابة زخرفية، وفي جوسق جلسة الخطيب زخارف منحوتة مشكلة من كيزان صنوبر.

ويقابل المحراب وبالتحديد في البلاطة الرابعة دكة المبلغ، وهي تقوم على أعمدة رخامية عددها أربعة، يختلف شكلها عن الأعمدة السابقة، فهي ترتفع على قاعدة آجريه من أربعة مداميك في كل واحد قطعتين من الآجر، ثم تليها قاعدة العمود الرخامية وهي عبارة عن حلقة دائرية، ثم يليها بدن حلزوني الشكل ينتهي بتاج بصلي تزينه أوراق الاكانتس في صفين، يعلوه كابول خشبي تمتد فوقه عارضة خشبية هي الأخرى تصل بين العمود والآخر، وعليها وعلى العارضة التي تقابلها ترتكز العوارض والألواح التي تشكل الدكة. وخلف هذه الدكة وعلى طول البلاطة الأخيرة من بيت الصلاة تقوم سدة هي الأخرى مصنوعة من الخشب وترتكز على سواري خشبية، يزين واجهتها الأمامية وواجهة الدكة صف من الدرابزينات.

ولبيت الصلاة عدة نوافذ فتحت أربعة منها في الجدار الغربي وواحدة في الجدار الشرقي، كما فتح في هذا الجدار بابان الأول يطل على البلاطة الأولى وهو يؤدي إلى غرفة الإمام، والثاني على البلاطة الثانية ويؤدي هو الآخر إلى غرفة كما

فتح باب في الركن الشمالي الغربي يؤدي إلى غرفة يوجد في جانب منها باب ينفتح على المئذنة.

سقف الجامع مشكل من قبتين الأولى تتقدم المحراب والثانية تتوسط بيت الصلاة، وهما شبيهتان من حيث الشكل والزخرفة، تقوم كل واحدة منهما على حنايا ركنية مثلثة الشكل، أما القبة فهي دائرية مقسمة إلى ثمانية أقسام نقشت في كل قسم منها زخرفة في شكل قنينة زجاجية ذات عنق طويل وضيق، وتحد هذه الأقسام اطرزخرفية محفورة على الجص.

خلف بيت الصلاة توجد مساحة تلتف حول السلم وخلفها الصحن تليه القبة الضريحية التي تستمر في علوها مع الطابق العلوي، أما المئذنة فهي مستقلة عن جدران الجامع تقع بجوار الركن الشمالي الغربي من بيت الصلاة، وهي تتشكل من قاعدة مربعة ترتفع بـ3م، يليها بدن مثمن، تزين أضلاعه دخلات غائرة مستطيلة وأخرى معقودة يليها شريط من البلاطات الخزفية ثم شرفة بارزة، وفوق البدن جوسق مثمن هو الآخر تتوجه حنية مثمنة يعلوها سفود.

3/ جامع سيدي الكتاني:

يقع جامع سيدي الكتاني بجوار سوق العصر، وهو يرجع إلى سنة 1190هـ/1776م على حسب ما يظهر في الكتابة التأسيسية، وقد كان ذلك على يد صالح باي الذي حكم بايلك قسنطينة فيما بين سنتي (1185 - 1207هـ/1771 - 1792م)[1].

يحتل جامع سيدي الكتاني مساحة مستطيلة الشكل، وهو مكون من طابقين، الأول يتم الدخول إليه عبر أربعة أبواب إثنان رئيسيان يقع أحدهما في الجهة الغربية والثاني في الجهة الجنوبية الشرقية، بينما فتح البابان الآخران في الجدار الشمالي، أحدهما يطل على الميضأة والثاني مستحدث خاص بالنساء.

ويتكون هذا الطابق من صحن مربع الشكل(6.28×6.37 م) تتوسطه نافورة، ويلتف حوله رواق يطل عليه بثلاثة عقود نصف دائرية تقوم على دعامات، ويتقدم هذا الرواق في جهة القبلة عدة قاعات يتوسطها رواق متسع يؤدي إلى الباب الرئيسي الجنوبي، بالناحية الغربية توجد قاعتان أحدهما ترتفع أرضيتها عن الثانية بحوالي 1متر يتم الدخول إليها عبر باب يطل على الصحن وباب آخر يطل على الرواق، وفي الجهة الغربية من هذا الأخير يوجد باب يوصل إلى ثلاث قاعات تنفتح على بعضها البعض بالتوالي، الأولى طولية تنتهي بفتحة معقودة تؤدي إلى قاعة ثانية عرضية، ومن هذه الأخيرة وعبر درجتين نصعد إلى قاعة محاذية طوليا القاعة الأولى، وتأخذ هذه القاعة شكل إيوان فهي تنفتح كليا على القاعة الثانية بواسطة بائكة مشكلة من عقدين يتوسطهما عمود رخامي.

---

1) - حول صالح باي انظر: ابن المبارك (الحاج احمد)، المصدر السابق، ص26 - 28. انظر أيضا: ابن العنتري (محمد الصالح)، فريدة منسية، المصدر السابق، ص78 - 84. شغيب (محمد المهدي بن علي)، المرجع السابق، ص376 - 386.

وفي نفس الجهة(الجنوبية للصحن) وعلى جوانب هذه القاعات توجد حوانيت، ثلاثة منها في الجدار الغربي تطل على نهج بن الموفوف، وأربعة في الجهة الجنوبية الشرقية تطل على نهج بوهالي العيد حيث يقع سوق العصر.

ومن مكونات هذا الطابق أيضا مقعد رخامي مقوس في شكل محراب تعلوه حنية على شكل محارة مشعة، ويقع هذا المقعد خلف الرواق الشرقي للصحن، وعلى جانبيه سلم مزدوج صاعد وعلى ارتفاع حوالي 1.5م يتحد هذا السلم ليستمر في الاتجاه المعاكس للأول إلى أن يصل إلى الطابق العلوي. وفي أسفل هذا السلم وخلف المقعد توجد الميضأة وهي تأخذ مساحة مستطيلة مقسمة إلى ثلاثة أقسام منها اثنان يوجد بكل منهما حوض ومقاعد للوضوء، بينما القسم الثالث تتوزع على جوانبه بيوت الخلاء(المراحيض).

أما الطابق العلوي فيتكون من بيت الصلاة التي تقدر مقاساتها بـ(15.12×18.64م)، وهي تتشكل من خمس بلاطات موازية لجدار القبلة تقطعها أربعة أساكيب تتوسطها بلاطة عمودية يتصدرها المحراب، وتحد هذه البلاطات أعمدة رخامية أسطوانية الشكل يتسع قطرها في الأسفل ويضيق في الأعلى، وفي أسفلها ترتكز على قواعد مربعة تعلوها ثلاث حلقات دائرية متفاوتة القطر، وينتهي العمود بتاج دائري تبرز في أسفله وفي أعلاه حلقة، بينما زينت المساحة التي تتوسطهما بأربع أوراق اكانتس، وتتشابه كل أعمدة الجامع وفق هذا الطراز فيما عدا الأعمدة التي تحمل الدكة، في مؤخرة بيت الصلاة عند البلاطة الرابعة مقابلة للمحراب، فهي حلزونية البدن.

وتقوم فوق هذه الأعمدة عقود نصف دائرية يعلوها سقف خشبي من الداخل مسطح وتزينه معينات تتوسطها ورود، أما من الخارج فهو هرمي الشكل ومغطى بالقرميد، وبالإضافة إلى هذا السقف الخشبي نجد بالبلاطة الوسطى

العمودية لبيت الصلاة ثلاث قباب متتالية تتقدم المحراب، وهي مكسوة بزخارف نباتية وهندسية رائعة نقشت على الجص.

ويتوسط جدار القبلة محراب مشكل من سبعة أضلاع، مكسو في جزئه السفلي بالبلاطات الخزفية وفي أعلاه قبيبة زخرفت بنفس الطريقة التي زخرف بها محراب جامع سوق الغزل إلى حد التطابق، أما واجهة المحراب فهي الأخرى تتشكل من أربعة أعمدة اثنان في كل جهة، يعلوهما عقد حدوي تزينه صنجات.

وعلى يمين المحراب منبررخامي يعد من أجمل المنابر الرخامية بالجزائروهو مزخرف بزخارف غائرة وأخرى بارزة هندسية وكتابية ونباتية متأثرة في بعض جوانبها بفن الباروك، وهو مشكل من واجهة معقودة يليها درج صاعد ينتهي بجلسة الإمام وعند هذه الأخيرة ترتفع أربع قوائم تعلوها قبيبة مخروطية حادة، وفي جانبيه فتح بابان معقودان في أسفل جلسة الإمام.

ولبيت الصلاة خمسة أبواب خشبية مكونة من مصراعين بالجدار الشمالي الغربي، الباب الخامس ينفتح على غرفة الإمام التي تقع خلف بيت الصلاة في الركن الشمالي الشرقي، أما بقية الجدران فقد فتح في الغربي منها خمس نوافذ متوجة بعقد مدبب، الجدار الجنوبي الشرقي فتحت فيه أربع نوافذ في حين لا توجد أي نافذة أو باب بالجدار الشرقي، لكونه حائطا مشتركا بين الجامع والمدرسة التي تقع بجنبه من هذه الناحية.

وبالإضافة إلى بيت الصلاة نجد بالطابق العلوي صحنا يلتف حوله رواق من أعمدة بعضها رخامي والآخر مستحدث بالجبس، وعلى جانب السلم الصاعد من ناحية الجنوب غرفة الإمام والتي سبقت الإشارة إليها وهي ذات شكل شبه منحرف. أما بالجانب الشمالي للسلم فيوجد رواق يؤدي إلى ميضأة خاصة بالنساء، ومنها يمكن الوصول عبر باب إلى المئذنة التي تقع خلف السلم وهي

ذات بدن وجوسق اسطوانيين، يفصل بينهما طنف بارز تعلوه شرفة، وتتوج الجوسق قبيبة رمحية أوقلمية، وفي داخل المئذنة توجد نواة مركزية اسطوانية خشبية يدور حولها سلم خشبي هو الآخر.

ثانيا/ المدارس:

1/ مدرسة سيدي الكتاني:

تقع هذه المدرسة بجوار جامع سيدي الكتاني وملاصقة له من الناحية الشرقية، وهي من بناء صالح باي في سنة (1189هـ/1775م)، من الناحية المعمارية عرفت المدرسة عدة تغييرات معمارية وفنية افقدتها الكثير من طرازها الأصيل، وهي تتشكل حاليا من طابقين، ندخل إلى طابقها الأول عبر مدخلين الأول في الجهة الجنوبية والثاني في الجهة الشرقية، ويتوسطها صحن(6.80×6.24م) يحيط به رواق من ثلاث جهات بينما الجهة الرابعة وهي الشمالية فيندمج رواقها مع المقبرة التي تحتل مؤخرة المدرسة مرتفعة عن أرضية الصحن بما يزيد عن 1متر يقوم هذا الرواق على أعمدة رخامية تعلوها عقود نصف دائرية.

يتقدم الصحن وعلى نفس الإمتداد في الجهة الجنوبية بيت للصلاة كانت تستغل أيضا كقاعة للتدريس وهي ذات شكل مربع(6.49×6.44م) ندخل إليها عبر باب يقع في منتصف الضلع الشمالي، ويقابله في الضلع الجنوبي وعلى نفس المحور محراب نصف دائري يكتنفه عمودان رخاميان يعلوهما عقد نصف دائري تؤطره خطوط متعرجة، وقد سقفت هذه القاعة بسقف مسطح.

ويتقدم بيت الصلاة في جهة القبلة رواق في طرفيه غرفتان لأغراض مختلفة وفي وسطه المدخل الرئيسي الثاني للمدرسة، على جانبي بيت الصلاة الشرقي والغربي توجد حجرات تمتد إلى جانبها حجرات أخرى تنفتح على رواق الصحن وتستمر إلى غاية مؤخرة المدرسة، يقدر عدد الحجرات في الجهة الغربية ثلاثة ودورة للمياه في النهاية الجنوبية بينما يقابلها في النهاية الشمالية غرفة خاصة بالمقبرة. أما الجهة الشرقية فهي تضم قبوين يقابلان المدفن يليهما رواق خاص بالمدخل، ثمة غرفتين متجاورتين يليهما درج صاعد.

الطابق العلوي يكاد يتطابق مع الطابق السفلي، فهو الآخر مشكل من صحن يحيط به رواق من أربع جهات، في الجهة الشمالية تستمر القبة الضريحية في ارتفاعها، ويقابلها في الجهة الجنوبية قاعة مماثلة لقاعة الدرس التي في أسفلها، وهي خالية من المحراب، في حين تتوزع الغرف على جانبي الرواقين الشرقي والغربي، حيث توجد أربع غرف ودورة للمياه في الجهة الغربية وخمس غرف في الجهة الشرقية.

وحسب الوصف الذي ذكره صالح باي في النظام التعليمي للمدرسة، واللوحة الفنية التي وضعها SOURDEVAL عند زيارته للمدينة في سنة1857[1]، وقد كانت المدرسة حينذاك لا تزال على صورتها الأولى ولم تطرأ عليها تغييرات فإن المخطط الحالي للمدرسة لا يمثل المخطط الأصلي الذي كانت عليه المدرسة خلال العهد العثماني.

فقد كانت المدرسة مكونة من طابق واحد يتوسطها صحن وحوله رواق من جهات ثلاث ومقبرة في المؤخرة تقابله قاعة الدرس في جهة القبلة وتحيط بالصحن غرف عددها خمسة بالإضافة إلى حجرة صغيرة ودورة للمياه، وكانت قاعة الدرس تتشكل من بلاطات تغطيها قباب، ويعلوا المدرسة سقف جمالوني مكسو بالقرميد.

2/ مدرسة الجامع الأخضر:

تقع هذه المدرسة بجوار الجامع الأخضر في الجهة الشرقية منه، وهي تعلو في جانبها الشمالي ميضأته، وهي من بناء صالح باي في سنة 1193هـ/1779م، يتم الدخول إليها من الناحية الجنوبية الشرقية عبر باب خشبي بالطابق الأرضي الذي تعلوه المدرسة، وهو يؤدي إلى درج صاعد طوله 4.40م وعرضه 1.50م

1) - العروق(محمد الهادي)، المرجع السابق، ص24 - 30. انظر أيضا:
SOURDEVAL.G, op-cit, S.P.

مشكل من 12 درجة ينتهي بعقد نصف دائري، وبعد اجتياز هذا الدرج نصل إلى الصحن، وهو غير منتظم الشكل، يقدر طول الضلع الشمالي 2.78م والجنوبي والغربي 3م والشرقي 3.3م وهو محفوف بأربعة أعمدة رخامية في الأركان وحول الصحن رواق اقتطعت أجزاء كبيرة منه لتستخدم حاليا في تشكيل مرافق حديثة.

وفي الجهة الجنوبية الشرقية من الصحن وخلف الرواق يوجد باب مشكل من مصراعين ينتهي بعقد مفصص، ومنه ندخل إلى قاعة الدرس، وهي ذات شكل مستطيل، الضلعان الشرقي والغربي طولهما 5.10م والجنوبي 8.97م والشمالي 9.43م، قسمت إلى ثلاث بلاطات عمودية على جدار القبلة بواسطة بائكتين كل واحدة من عقدين حدويين.

والقاعة خالية من المحراب، كما فتحت فيها أربع نوافذ واحدة في الجهة الغربية والثانية في الجهة الشرقية واثنان في جدار القبلة، كما فتح باب في هذا الجداريؤدي إلى ساحة تتقدم قاعة الدرس جنوبا مقاساتها 9.20×2.90م، وهي محاطة بسور متوسط الارتفاع(حوالي 1.5م). ولم تسلم هذه القاعة هي الأخرى من التغييرات حيث تم اقتطاع البلاطة الشرقية لتستغل كغرفة، ويظهر هذا التغيير بصورة جلية حيث يظهر العقدان بارزان عن الجدار المستحدث.

في الجهة الشرقية من الصحن توجد ثلاث غرف يحتمل أنها كانت بمثابة غرف لمبيت الطلبة، وهي ذات مقاسات متفاوتة، الأولى (4.14×3م) وهي التي تلي قاعة الدرس تليها الغرفة الثانية(4.12×3م) ثم الثالثة(2.30×3م) وهي تشغل الركن الشمالي الشرقي.

ونجد خلف الصحن في الناحية الشمالية المطبخ وهو ذو شكل غير منتظم له باب ينفتح على الرواق، وعلى يمين المطبخ يوجد بيت الوضوء، وهو مشكل

من جزأين يفصل بينهما جدار وسطي لهما مدخل رئيسي واحد، لا زال يستغل أحد هذين الجزأين إلى يومنا هذا كمرحاض في حين لا ندري إن كان الثاني يستعمل في إتمام بقية الوضوء، حيث لم نجد به أحواض كما هو معهود في بيوت الوضوء.

الجهة الغربية للصحن يشغل القسم الجنوبي منها المدخل والسلم الصاعد، تعلوه غرفة(حوالي:4.20×2م) لها باب ينفتح على الرواق الجنوبي وفي مؤخرتها مصطبة تساير ارتفاع السلم تستغل كمخزن حاليا، أما القسم الشمالي من هذه الجهة فهو خالي من أي مرافق لكون الجدار الخارجي للمدرسة في هذه الناحية مشترك مع الجامع، وقد كان به باب معقود بعقد نصف دائري يربط بين المعلمين، وهو حاليا مسدود ولا يزال يظهر الإطار الذي كان يزينه من الجانبين وأثر العقد واضح في الجدار.

ثالثا/ الزوايا:

1/ زاوية سيدي عبد المؤمن:

تقع زاوية سيدي عبد المؤمن بشارع ملاح السعيد، وهي تنسب إلى سيدي عبد المؤمن الذي كان يشغل منصب شيخ الإسلام وأمير الركب الحجازي، منذ العهد الحفصي، وبقي في منصبه مع بداية الحكم العثماني بالجزائر إلى غاية مقتله في 12 محرم 971هـ/4 سبتمبر 1561م[1]، أما تاريخ بنائها فهو غير محدد بدقة، حيث توجد كتابة تذكارية تؤرخ لتجديدات تعرضت لها في سنة

1) - شغيب (محمد المهدي بن علي)، المرجع السابق، ص 118 - 119. انظر أيضا: بورويبة (رشيد) قسنطينة، المرجع السابق، ص 88. سعد الله (ابو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق ج1، ص264. MERCIER.E, Histoire de Constantine, op-cit, P205. VAYSSETTES.E, His-toire de Constantine sous la domination Turque de 1517 à 1837, op-cit, P61.

1183هـ/1769م على يد السيد صالح خوجة بن مصطفى بن محمد ململي يكجري، وهو صهر إحدى حفيدات سيدي عبد المؤمن[1].

للزاوية مدخل رئيسي يقع بالجهة الغربية، ومنه نمر عبر رواق فتح في ضلعه الشمالي باب يؤدي إلى بيت الصلاة وهو مستطيل الشكل غير منتظم الأضلاع، حيث يقدر طول الجدار الجنوبي 7,90م، والشرقي يسير بشكل منحني نسبيا طوله 10,95م، يتوسطه محراب نصف دائري، كسي الجزء السفلي من تجويفته ببلاطات عصرية، يعلوها إطار يحده أخدودان بارزان بينهما نتوءات زخرفة جصية، في منتصفه نصف دائرة في شكل هلال يتجه نحو الأسفل تنطلق منها قبيبة نصف دائرية بها خمسة تعاريق مشعة تتجه نحو عقد الواجهة، ومن الجانبين يكتنف المحراب عمودان غليظان يصل قطر الواحد فيهما إلى 30سم، لهما بدن حلزوني من دون قاعدة ولا تاج، يعلوه طنف متدرج بشكل مربع، فوقه عقد نصف دائري تزين واجهته أخاديد بارزة، وفي كوشتيه زخارف نباتية تتشكل من أوراق وسيقان ومراوح نخيلية، ويؤطر العقد شريط تزينه أشكال هندسية مختلفة، معينات وأهلة ومضلعات ونتوءات بارزة على الجانبين، وإطار أخر في الأعلى مشكل من مربعات تتناوب مع مربعات أخرى مائلة تتشكل منها أشكال نجمية ثمانية الرؤوس.

وعلى جانبي المحراب توجد دخلات حائطية تستعمل في شكل خزائن جدارية، يقدر عمقها بحوالي 40سم، واتساعها يختلف من واحدة إلى أخرى منها اثنتان تنتهيان بعقد نصف دائري، والثالثة ذات مسقط مستطيل.

ويتشكل بيت الصلاة من رواق يحيط بصحن أوسط من ثلاث جهات ورواقان في الجهة الرابعة وهي الجهة الجنوبية، والرواق مشكل من دعامات ذات أشكال مختلفة، منها المستطيلة، ومنها المتعددة الأضلاع، تقوم فوق

1) - معزوز (عبد الحق) درياس (لخضر)، المرجع السابق، ص170.

بعضها عقود نصف دائرية يبلغ عددها خمسة عقود، في حين تعلو البعض الآخر عوارض خشبية.

تعلوا الرواق الغربي ومباشرة خلف الصحن قبة، وهي تقوم على حنايا ركنية مثلثة وضعت بشكل مسطح، من دون شك هي الأخرى مشكلة من عوارض خشبية، وفوق هذه الحنايا رقبة مثمنة محدودة بإطار علوي بارز في شكل أخدود متدرج، فوقها خوذة القبة وهي ثمانية الأضلاع.

يتوسط الصحن بيت الصلاة، وهو ذو شكل مستطيل مقاساته 2,40×3,85م، وهو مغطى حاليا بغطاء قصديري، في أركانه تقوم دعامات يعلوها من الجهة الشمالية عقد نصف دائري، ومن الجهات الأخرى عوارض خشبية مستقيمة.

تقع الميضأة إلى جانب بيت الصلاة في الجهة الجنوبية، يتم الدخول إليها عبر باب ينفتح على الرواق الذي يتقدم المدخل الرئيسي للزاوية، تتقدمه درجات نحو الداخل هابطة، وقد استحدثت معظم أجزائها بما فيها بيوت الخلاء والتي يبلغ عددها خمسة والحوض.

وإلى جانب العناصر السابقة تحتوي الزاوية على عدة غرف وقاعات تقع في الطابق العلوي، تلتف حول الصحن، يتم الصعود إليها عبر ثلاثة سلالم، قد يكون واحدا منها مستحدث وهو الذي يوصل إلى قاعة الصلاة العلوية، والآخران يقعان في الناحية الشمالية من بيت الصلاة، وهي تتشكل من قاعة للصلاة تقع بالناحية الجنوبية للصحن، ذات شكل مستطيل، طول ضلعها الشمالي 8,18م والجنوبي 9,65م والغربي 7,17م والشرقي 6,83م، ويتصدر هذا الجدار الأخير محراب، إلا أن هذه القاعة جددت عن آخرها، حيث بنيت بها دعائم جديدة، وسقف وبلاطات عصرية، وزين المحراب بالجبس العصري.

وفي الجهة الشرقية من الصحن تقع غرفة مستطيلة الشكل، طول ضلعها الشمالي 2,68م والجنوبي 2,73م والشرقي 6,40م والغربي 6,60م، فتحت في هذا الضلع الأخير نافذتان تطلان على الصحن، وإلى الشمال من هذه النافذة فتح باب في نفس الجدار يتقدمه درج هابط إلى بيت الصلاة بالطابق السفلي، كما فتح باب آخر في الضلع الجنوبي من الغرفة يربطها بالقاعة السابقة الذكر.

وفي الجهة الشمالية للصحن نجد رواقا طوله حوالي 2م، ينفتح في جهته الغربية على غرفة مستطيلة، يتم الدخول إلى هذه الغرفة عبر بابين، أحدهما يقع في الركن الشمالي الشرقي يسبقه سلم صاعد يقع في الركن الشمالي الغربي لبيت الصلاة، والثاني يقع في الضلع الشرقي ينفتح على الرواق الذي يتقدمه هو الآخر سلم صاعد من بيت الصلاة بالطابق السفلي.

2/ زاوية بن عبد الرحمن:

تقع بحومة الشارع، بشارع الإخوة عرفة، وهي تنسب إلى الشيخ عبد الرحمن بن أحمد بن حمودة بن مامش المعروف بباش تارزي، المتوفي بقسنطينة في سنة 1221هـ/1806م[1]، وقد كان بناؤها مع أوائل القرن 13/أواخر القرن 18م تتشكل الزاوية من مدخل رئيسي يقع بوسط الجدار الغربي ينفتح على صحن حوله رواق من ثلاث جهات، في شماله توجد الميضأة، وفي شرقه كانت توجد ثلاثة قبور تم تغطيتها وتسوية أرضيتها مع أرضية الرواق ولم يعد يرى منها شيئ وانتزعت شواهدها.

ومن الصحن يمكن الدخول إلى بيت الصلاة عبر بابين الأول ينفتح على البلاطة الأخيرة، والثاني ينفتح على الوسطى، وهي ذات شكل قريب من المربع (8,70×8,45م)، في ضلعها الغربي يوجد بروز إلى الداخل بمقدار 73سم، شكلت منه أربع خزائن جدارية، وفي الجدار الجنوبي الغربي فتحت نافذتان تنتهيان بعقد نصف دائري، كما فتحت نافذة بالجدار الشمالي الشرقي تطل على الضريح، أما الجدار الجنوبي الشرقي فيتوسطه بروز بـ50سم فتح فيه محراب نصف دائري عمقه غطي الجزء السفلي من تجويفته ببلاطات خزفية عصرية، يعلوها شريط نقشت فيه بخط النسخ المغربي وبأسلوب الحفر البارز آية قرآنية هذا نصها: «**إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا**»[2]، وفوق هذا الشريط قبيبة مشعة على شكل محارة أو صدفة تتجه أخاديدها نحو الأعلى ليتشكل منها عقد مفصص يزين واجهة المحراب، يؤطر واجهته إطار مشكل من شريطين بهما زخارف هندسية بارزة، تتخللهما أخاديد حلزونية الشكل، والعقد هذا يقوم على عمودين حديثي الصنع، ويزين كوشة العقد دائرة مركبة نجمية الشكل.

1) - العقبي (صلاح مؤيد)، المرجع السابق، ص336 - 337.
2) -سورة النساء الاية 105

ويعلو العقد شريط كتابي بخط النسخ تتكرر فيه عبارة «العافية النافية»، في حين يشير الأستاذين معزوز ودرياس بأنه كان في مكان هذه العبارة النص الآتي: «العافية النافية لا اله إلا الله محمد رسول الله»[1]، فوقها زخارف جصية في شكل بائكة من خمسة عقود، وقد أشار الأستاذين معزوز و درياس إلى أن واجهة هذا المحراب كانت مزدانة بأشرطة كتابية نصها: بسم الله الرحمن الرحيم «**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَالأصَالِ/ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ**»[2] إلا أننا لم نعثر على أي أثر لها.[3]

ويتشكل بيت الصلاة من ثلاث بلاطات موازية لجدار القبلة، تحدها أربع دعامات وسطية، فوقها عوارض خشبية، وعلى هذه الدعامات تقوم قبة في مركز بيت الصلاة تقابل المحراب، في أسفلها حنايا ركنية مثلثة الشكل ومسطحة أما خوذة القبة فهي ثمانية الأضلاع زينت بزخارف شبيهة بزخارف قباب جامع سيدي الكتاني، أما الأجزاء المتبقية من بيت الصلاة، فهي مغطاة بألواح خشبية مسطحة ومن دون زخرفة، تعلوها سدة.

وإلى اليسار من المحراب في الركن الشمالي الشرقي يوجد ضريح مؤسس الزاوية، يحيط به سياج من المشربيات وهي حديثة الصنع، ويعلوا القبر تركيبة خشبية مستطيلة الشكل تحمل نقوشا نباتية وهندسية وكتابية سجل فيها نسب الشيخ عبد الرحمن باش تارزي وأسماء الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

1) - معزوز (عبد الحق) درياس (لخضر)، المرجع السابق، ص259.
2) -سورة النور 36.
3) - المرجع السابق، ص259.

3 -زاوية حنصالة:

تقع زاوية حنصالة بمدينة قسنطينة، في نهج رواق السعيد رقم الباب 19، وقد كانت تعرف باسم زاوية النجارين نسبة إلى سوق النجارين، أو زاوية حنصالة نسبة إلى الطريقة الحنصالية[1].

ليس لدينا ما يشير بشكل صريح ودقيق إلى مؤسس وتاريخ بناء هذه الزاوية، إلا أنه يمكن القول من المؤكد أنها ترجع إلى الفترة العثمانية، وقد ترجع إلى فترة سابقة لحكم صالح باي، باعتبار أن أقدم ذكر لها جاء في القائمة المرفقة بدفتر أوقافه[2].

1) - ابوالقاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص 518 - 519. انظر أيضا: A.DOURNON, op-cit, P267-268.

2) -L.FERAUD, les anciens établissements, op-cit, P130.

تندمج الزاوية مع المباني من أربع جهات ولا يظهر منها إلا جزء يقع في الطرف الشمالي من الضلع القبلي، حيث يقع المدخل، وفيه تظهر فتحة مستطيلة (1,40×2,20م) تنتهي بلوح خشبي يحمل زخارف في وجهه الداخلي عبارة عن نجمة سداسية تتداخل معها دائرة مفصصة من ست فصوص وبمركز النجمة نقشت بأسلوب بارز زهرة سداسية بطريقة هندسية أيضا، كما زخرفت الواجهة الخارجية لنفس اللوحة بكتابات بخط النسخ داخل خرطوش مستعرض، وفي أعلى اللوح يوجد عقد متجاوز ومنكسر مصمت غائر عن الجدار، نقشت بداخله كتابة جصية تحف بها زخارف نباتية في شكل أوراق ومراوح نخيلية مشكلة مثلث.

في أعلى المدخل وإلى اليمين منه توجد نافذة تطل على غرفة علوية بها شباك معدني مستحدث، وفوقها تنتهي الواجهة بطنف متدرج وبارز به كوابيل، ينتهي بصف من القرميد، ثم يستمر الجدار على علو يصل إلى حوالي 1متر، ويبدو أن هذا الجزء أضيف بعد عملية الترميم.

يقع بيت الصلاة إلى الجنوب من الصحن، وهو في شكل قاعة مستطيلة تمتد عموديا على جدار القبلة، يتراوح عرضها بين 4,11م و 4,40م، وطولها يصل إلى 7,65م، يتم الدخول إليها عبر باب (1,21×2,24م) في منتصف ضلعها الشمالي الشرقي ينفتح على الصحن، وعلى يمينه ويساره نافذتان شكلهما مستطيل يكسوهما شباك خارجي في شكل قضبان معدنية متقاطعة على بعضها البعض عموديا وأفقيا.

في منتصف الضلع الجنوبي الشرقي يوجد محراب عرف تغييرات كبيرة على حسب إمام الزاوية وذلك بعد أعمال الترميم التي تعرضت لها، والمحراب في صورته الحالية عبارة عن تجويفة نصف دائرية عمقها 0,60م وعرضها 1,10م وارتفاعها 1,66م، ينتهي بقبيبة نصف دائرية خالية من أي زخارف، يحف به

من الجانبين عمودان يعلوهما عقد جصي، وهي كلها مستحدثة، حيث ذكر لنا إمام الزاوية أنه بعد الترميم تم الإستغناء عن الأعمدة والزخارف الجصية الأصلية لواجهة المحراب، وفي الضلع الجنوبي الغربي استحدثت خزانتان جداريتان واحدة غائرة في الجدار بينما الثانية بارزة عنه إلى داخل بيت الصلاة.

يقع الصحن بين الميضأة وبيت الصلاة، وهو ذو شكل مستطيل، عرضه يتراوح بين 5,15م و 5,90م، طول ضلعه الجنوبي الغربي 7,32م والشمالي الشرقي 8,16م، يتم الدخول إليه من باب فتح في الطرف الشرقي من هذا الجدار، عرض فتحته 1متر، وإلى الشمال منه توجد نافذتان تنفتحان على الميضأة، بهما شباك معدني.

في الطرف الشرقي من الجدار الجنوبي الشرقي ينكسر الجدار بحوالي 0,86م إلى الخارج مشكلا بروزا بطول 2,18م ترتفع أرضيته عن الصحن بـ20سم ويقابل هذا البروز في الضلع الشمالي الغربي درج صاعد يوصل إلى الطابق العلوي من الزاوية، وفي نفس الجهة يوجد رواق مشكل من ثلاثة عقود مدببة تقوم على دعامات مربعة عرفت تغييرات عديدة بعد عملية الترميم، وترتفع أرضية هذا الرواق بـ20سم عن أرضية الصحن، والصحن حاليا مغطى بعد أن كان في الأصل حسب إمام الزاوية من غير تغطية.

تقع الميضأة بمقابل مدخل الزاوية، حيث يعقب هذا المدخل ممر متسع (4,20×3,20م) ينتهي بباب (0,80×2م) في منتصف ضلعه الشمالي الغربي ينفتح على الميضأة، وهي مستطيلة الشكل عرضها يتراوح بين 1,55م و 1,83م وطولها يصل إلى 5,89م.

تقع ملاحق الزاوية بالطابق العلوي، وهي عبارة عن أربع غرف تتوسطها ممرات وصحن، الغرفة الأولى توجد على يمين الصاعد من الصحن السفلي يتم الوصول إليها عبر درج من ثلاث درجات يليه ممر يصل طوله إلى حوالي 2متر

تليه الغرفة، وهي مستطيلة الشكل (1,56×4,05م) فتح باب (0,90×1,90م) في ضلعها الشمالي الغربي، كما فتحت نافذة (1,07×1,22م) في منتصف الضلع الجنوبي الشرقي.

كما ينفتح السلم الصاعد على رواق عرضه يتراوح بين 2م و 2,97م، وطوله 5,95م، وهو يقع إلى الشمال الشرقي من الصحن السفلي وهو يشرف عليه بفتحتين واسعتين، يقابلهما في الضلع الشمالي الشرقي من الرواق مقعد عرضه 54متر وارتفاعه 70سم.

ينتهي الرواق في طرفه الجنوبي الشرقي بباب يفضي إلى غرفة مستطيلة الشكل (3,21×4,65م) فتح في ضلعها الجنوبي الشرقي نافذة مستطيلة، وفي الجدار الجنوبي الغربي نافذة تطل على الصحن، وإلى اليسار منها توجد خزانة جدارية.

ويقابل السلم الصاعد باب يفضي إلى قسم ثاني يقع في نفس المستوى مع الطابق العلوي إلا انه مشيد في طابق أرضي، وهو يتكون من فناء عرضه يتراوح بين 4,40م و 5,85م، وطوله بين 7,15م و 8,20م استحدث فيها مرحاضان في ضلعه الشمالي الشرقي، غرست فيه شجرة تين، وينفتح على هذا الفناء في الضلع الشمالي الغربي غرفتان بواسطة بابين، الغرفة الأولى وهي التي تقع في الطرف الغربي لها باب وإلى اليسار منه توجد خزانة جدارية، والغرفة ككل ذات شكل مستطيل عرضها 1,90م وطولها 3,64م، وإلى الشمال منها تقع الغرفة الثانية وهي الأخرى مستطيلة الشكل طولها 3,40م وعرضها يتراوح بين 1,90م و2,08م، تنفتح على الفناء بباب أرضية الغرفتان منخفضة على الفناء بـ20سم كما أن سقفهما منخفض ولا يزيد عن 2م.

رابعا/ الأضرحة:

1 -القبة الضريحية بالجامع الأخضر:

تقع هذه القبة في الجهة الغربية خلف الجامع الأخضر، كان بناؤها في أواخر شهر شعبان 1156هـ/أكتوبر 1743م من طرف الباي حسين المدعو بوحنك (1149هـ - 1168هـ/1736م - 1754م)، وهو أول من دفن فيها[1].

يتم الوصول إلى هذه القبة عبرباب ينفتح على فناء الجامع الأخضرتتقدمه أربع درجات آجرية، ومنه نصل إلى ممر طوله 2,17م وعرضه 1,20م، وهو مستحدث، فتح في ضلعه الجنوبي باب كان في الأصل معقودا بعقد حدوي متجاوز، عرض فتحته حوالي 1,5م، وهو ينفتح على قبة ذات مسقط مربع يحيط بها جداران من الناحية الغربية والجنوبية، بينما فتح الجدار الشرقي كلية على الفناء الذي يتقدمه، أما الجدار الشمالي فكما سبق وأن قلنا فتح فيه باب.

تقوم القبة في الأركان فوق أربعة أعمدة رخامية أسطوانية الشكل، تيجانها على شكل حلقتين دائريتين يعلوهما شكل مربع متدرج، وفوقهما ترتفع عقود نصف دائرية تبرز عن الجدار بمقدار 20سم في الأركان، ويتوسط الضلع الشرقي عمود أسطواني مماثل للأعمدة السابقة، ينطلق منه عقدان يتقاطعان مع العقد العلوي يشكلان بائكة من عقدين منكسرين.

وتستمر الجدران فوق الأقواس بمقدار حوالي 50سم، ثم يتحول المربع إلى شكل مثمن بواسطة حنايا ركنية مثلثة بشكل أفقي مستوي من دون شك تكون مبنية بعوارض خشبية مغروزة في الجدران من الجانبين، غطيت بطبقة من الجص، وفوقها تقوم قبة دائرية خالية من الزخارف.

---

1) - أنظر الصفحة رقم 288 من البحث.

قبور القبة الضريحية للجامع الأخضر.

2 -مقبرة صالح باي بسيدي الكتاني:

تقع القبة الضريحية خلف صحن المدرسة الكتانية بجوار سوق العصر وقد كان تأسيسها على يد صالح باي (1185هـ - 1207هـ/1771م - 1792م) مؤسس مسجد ومدرسة سيدي الكتاني بتاريخ 1190هـ/1776م.

تحتل القبة الضريحية الجزء الغربي من مدرسة سيدي الكتاني، وهي ترتفع عن أرضية صحن المدرسة بـ1م، يتم الصعود إليها عبر ممر عرضه 1.5م به أربع درجات تقع عند نهاية الرواق الغربي من الصحن، وهي تتشكل معماريا من مساحة مربعة (3.90×4.10م) مفتوحة من ثلاث جهات، في حين يوجد في

الجهة الرابعة جدار مصمت، وفي أركانها دعائم مربعة، اثنتان منها مدمجتان في الجدار تبرزان عنه بـ0,10م، وفوق هذه الدعائم تنطلق عقود نصف دائرية وفي نفس المستوى الذي تنتهي فيه هذه العقود يبدأ المربع يتحول إلى مثمن بواسطة حنايا ركنية عبارة عن محارات مشعة، ثم ترتفع القبة فوق ذلك بتضليعاتها المحددة بأخاديد حفرت بها أشكال هندسية من المعينات والمثلثات بأسلوب الحفر الغائر.

وعلى الجانب الشمالي والجنوبي للقبة يوجد رواقان غطيا بقبو نصف دائري، كما يتقدم القبة رواق عرضي يمتد من الشمال إلى الجنوب، وينتهي عند بداية الدرج الصاعد، أرضيته منخفضة عن أرضية القبة والرواقين السابقي الذكر بـ0,15م، وهو مغطى بأقبية برميلية مستحدثة في العهد الفرنسي، وتحف به من جهة الصحن درابزين رخامية.

وألحق بالقبة وإلى الجانب الجنوبي منها غرفة طولها 4,80م عرضها 2,35م تمثل امتدادا لغرف وخلاوي الطلبة التي تنفتح على الرواق الجنوبي لصحن المدرسة، لها باب يطل على القبة عرضه 0,95م وارتفاعه 1,90م.

زينت الجدران الثلاثة المحيطة بالمقبرة ببلاطات خزفية متنوعة تنتظم في شكل حشوات، منها بلاطات تغلب عليها أزهار القرنفل وأخرى على هيئة عفسة الأسد، ونوع ثالث على هيئة سلال بها باقات من الأزهار والأوراق والثمار، وبلاطات أخرى ذات أشكال هندسية تغلب عليها أقواس السهام والقواقع البحرية فوقها شريط من الجص به كتابة بخط الثلث نقشت بالحفر البارز[1].

1) - معزوز (عبد الحق) درياس (لخضر)، المرجع السابق، ص251 - 252.

قبور القبة الضريحية لمقبرة صالح باي

خامسا/ العمائر المدنية:

1/ قصر أحمد باي:

يقع قصر أحمد باي شمال جامع سوق الغزل، وهو يطل على عدة شوارع وساحات عمومية، وقد كان بناؤه من طرف أحمد باي آخر بايات قسنطينة (1241 - 1254هـ/1826 - 1837م)، كان انطلاق الأشغال بالقصر في سنة 1826 ولم تنته إلا في سنة 1835م[1].

يعد قصر أحمد باي من أفخم وأروع القصور الجزائرية التي ترجع إلى الفترة العثمانية، فهو يتربع على مساحة 5609مترمربع، في موضع منحدر، ومن ثم شكل القصر من ناحية الشرق من ثلاث طوابق، بينما في الناحية الغربية من طابقين فقط، يتم الدخول إليه عبر باب رئيسي تقع بالجهة الجنوبية، تليها سقيفة منكسرة، تؤدي على يمين الداخل إلى رواق يلتف حول حديقة النخيل أما على يسار الداخل فيسير مباشرة مع الرواق الغربي لحديقة النخيل وبعد مسافة قصيرة يصل إلى ثلاثة أروقة متوازية مع الرواق السابق الذكر، يحدها من الناحية الشرقية كشك الباي الذي هو عبارة عن قاعة يتصدرها إيوان.

ومن ناحية الشرق جناح خاص بفطومة، أما من ناحية الغرب فتوجد حديقة البرتقال(20 × 17م) وهي محاطة برواق من الناحية الجنوبية وقسم من الناحية الشرقية، ومن رواقين من الناحيتين الغربية والشمالية، وباتجاه هذه الأخيرة يوجد قسم الحريم المشكل من خمس قاعات يتوسطها رواق يؤدي إلى فناء تليه غرف خاصة بالخدم، ومن الناحية الشرقية يوجد مسكن فطومة، ومن ناحية الغرب مسكن الجواري.

1) - للمزيد حول هذا احمد باي وفترة حكمه انظر: ابن العنتري (محمد الصالح)، المصدر السابق، ص104 - 136. شغيب (محمد المهدي بن علي)، المرجع السابق، ص410 - 445. الزبيري(محمد العربي)، مذكرات احمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981، ص11 - 125. ROBERT.A, «Autographié d'el Hadj Ahmed Ben Mohammed Chérif dernier Bey de Constantine», in: Recueil des Notices et Mémoires de la société Archéologique de la province de Constantine, 1916, P147-155. TEMIMI.A, Le Beylik de Constantine et Hadj Ahmed Bey 1830-1837, Tunis, 1978.

ومن حديقة النخيل يمكننا أن نواصل المسيرباتجاه الحوض المائي الذي يقع بجوار الحديقة المشار إليها، ولا يفصله عنها إلا رواقان، وهذا الحوض مساحته 105.5متر مربع يحيط به رواق من الجهات الثلاث الأخرى الشرقية والشمالية والغربية، وقد كان مخصص لتربية الأسماك على حسب بعض النصوص التاريخية. وإلى جانب هذه المرافق فالقصر يحتوي على مسكن للنساء وقسم خاص بالغسيل وقسم خاص بالمحكمة كما قسم القصر إلى جناحين، الجناح الغربي كان الباي يقيم فيه في فصل الصيف أما الجناح الشرقي فكان يقيم فيه خلال فصل الشتاء.

أما الطابق العلوي فهو الآخر يحتوي على عدة مرافق منها غرفة فاطمة وغرفة عائشة وغرف لنساء الغسيل ومقر للباي وفي الطابق الارضي يوجد الاصطبل وحمام الباي ومطبخ ومقهى.

وبصفة عامة فإن القصر يضم 22 غرفة وأربع ساحات منها حديقتي النخيل والبرتقال، وقد حلي هذا القصر بأعمدة رخامية متنوعة وزخارف-جصية بديعة، وبلاطات خزفية مختلفة وعديدة ذات أشكال ومواضيع زخرفية متنوعة[1].

1) - للمزيد حول عمارة هذا القصر انظر: بورويبة (رشيد)، قسنطينة، المرجع السابق، -141 143. FERAUD.L, «Monographié de Palais de Constantine», in: Recueil des Notices et Mémoires de la société Archéologique de la province de Constantine, 1867, P1-96.

2/ دار الدايخة بنت الباي:

تقع دار الدايخة بنت الباي بحي باب الجابية قرب مسجد سيدي عفان تنفتح على نهج دعرة قدور، وهي تنسب إلى إمرأة تعرف باسم «الدايخة»، ومما يرويه أصحاب المسكن أنها حفيظة الباي لكننا لا ندري أي باي يقصدون.

لا يوجد هناك ما يدل على تاريخ محدد لهذه الدار، ولكن عناصرها المعمارية والزخرفية تشير إلى أنها من مباني العصر العثماني.

تندمج الدار مع البنايات المجاورة من جميع الجهات، ولا يظهر منها غير جانب من الواجهتين الشمالية والغربية، كونهما تطلان على نهجين يعلو كل واحد منهما ساباط، ومن الواجهة الغربية وبالتحديد في الزاوية الشمالية الغربية من الطابق الأرضي، يتم الدخول إلى الدار عبر مدخل ذو فتحة مستطيلة عرضها 1,60م، بها باب خشبي مستحدث، يعلوه عتب مستوي من الخشب يرتكز على كابولين، وهو مزخرف بزخارف نباتية بارزة لا يظهر منها إلا القليل بسبب الطلاءات التلوينية المتكررة، وفوقها حشوة جصية مخرمة تنتهي بعقد زخرفي مفصص.

ينفتح المدخل على سقيفة ذات شكل مستطيل، (7,66م×2,20م)، في زاويتها الشمالية الشرقية مقعد خلف المدخل وآخر يقابله يعلوه عقد نصف دائري وفي نفس الجدار (الغربي) الذي فتح فيه المدخل يوجد سلم صاعد إلى الطابق الأول وهو مستحدث، وفي آخر الجدار الشرقي فتح باب يفضي إلى الصحن.

يحتل الصحن وسط الدار (المخطط 29)، شكله قريب من المستطيل غير منتظم الأضلاع، أرضيته مبلطة ببلاطات رخامية، وحول الصحن يلتف رواق من جميع الجهات يشرف عليه بعقدين من ثلاث نواحي، وعقد واحد كبير في الناحية الشرقية، العقود ترتفع إلى منتصف الطابق الأول، وهي نصف دائرية تقوم في الأركان على دعامات وفي الوسط على أعمدة رخامية ذات أبدان أسطوانية تعلوها تيجان من الطراز الحفصي.

تتوزع الغرف والحجرات وباقي مرافق الدار على أربعة طوابق، الطابق الأرضي يتشكل من أربع حجرات، واحدة في الجهة الشمالية وأخرى في الجهة الشرقية، وحجرتان في الجهة الجنوبية، ومن هذا الطابق نصعد إلى الطابق الأول أو ما يعرف بـ «السلامات» عبر ثلاثة سلالم، الأول يقع في السقيفة جدد تماما بمواد بناء حديثة، وهو يفضي إلى حجرتين، السلم الثاني يقع في الركن الجنوبي الشرقي وهو يوصل إلى الطابق الثاني، ومنه ندخل إلى حجرة تحتل الجهة الشرقية وأخرى في الجهة الجنوبية من الطابق الأول، أما السلم الثالث فيقع في الركن الشمالي الغربي يوصل إلى حجرة تقع بالجهة الشمالية من الطابق الأول، ومن دون شك أن هذه الحجرات كانت تستغل كمخازن، حيث يوحي سقفها المنخفض والذي يصل إلى أقل من 80 سم في الحجرة الغربية أنها لم تكن خاصة بالإقامة، وعلى كل حال ارتفاع سقفها متفاوت، فهو يزيد كلما اتجهنا نحو الشرق وينخفض باتجاه الغرب، مسايرا الأرضية المنحدرة التي بنيت عليها الدار.

يتشكل الطابق الثاني من رواق يشرف على الصحن بعقود مسننة بواقع عقدين في كل جهة، وهي ترتكز على دعائم آجرية، وفي الأسفل يحيط بالصحن سياج خشبي من الدرابزين، وعلى هذا الرواق تنفتح أربع غرف وكنيف، الغرفة الشمالية هي أكبرها وأجملها، حيث تتميز بقبتها التي ترتفع فوق الإيوان والتي زينت بزخارف جصية منقوشة بشكل بديع تتألف من عناصر نباتية وهندسية وكتابية تعد تحفة قلّ مثيلها بمساكن قسنطينة.

الغرفة الغربية شبيهة التخطيط بالغرفة الشمالية، إلاّ أنها تضم زخارفا أقل جمالا من زخارف الغرفة السابقة، حيث غطي الإيوان بها بقبة وتتقدمه في وسط الغرفة قبة صغيرة نقشت عليها زخارف جصية تحاكي نفس العناصر والأشكال الزخرفية للغرفة السابقة.

في الجهة الجنوبية يوجد كنيف (مرحاض)، وإلى الشرق منه توجد غرفة مستطيلة الشكل بسيطة التخطيط، كما توجد في الجهة الشرقية حجرة كانت تستغل كمطبخ، وهي ذات شكل غير منتظم.

الطابق الثالث يتم الوصول إليه عبر السلم الذي يقع في الركن الجنوبي الشرقي، وهو يتشكل من غرفة واحدة فقط تحتل الجهة الشرقية دون أن يتقدمها الرواق المحيط بالصحن، وهي شبيهة بما يعرف في منازل المشرق الإسلامي بالمنظرة[1].

إيوان الغرفة الشمالية من الطابق الثاني بدار الدايخة بنت الباي

1) - الحداد (عبد الله عبد السلام صالح)، صنعاء تاريخها ومنازلها الأثرية، دار الآفاق العربية القاهرة، ط1، 1419/1999، ص 61 - 63.

3/ حمام سوق الغزل:

يقع حمام سوق الغزل في نهج 24 أفريل، أسفل جامع سوق الغزل، وكلاهما أخذا إسميهما نسبة إلى سوق الغزل الذي يقع جوارهما.

ليس هناك ما يشير صراحة إلى تاريخ بناء هذا المعلم، إلاّ أن المؤكد هو أنه معلم يرجع تاريخه إلى الفترة العثمانية، فقد ورد ذكره في سجلات المحكمة الشرعية[1]، وسجّل الوفيات[2]، وأورده «ميرسيي» ضمن المعالم التي كانت تتواجد بالمدينة قبيل احتلالها من طرف الإستعمار الفرنسي في سنة 1837[3].

يتوسط الحمام مجموعة من البنايات التي تحيط به من كل الجهات فيما عدا جانب من الجهة الغربية، حيث يظهر فيها المدخل الخارجي وعلى يساره المدخل الذي يؤدي إلى الفرناق والصهريج.

يقع المدخل في الركن الشمالي الغربي من الحمام، وهو ينفتح على سقيفة ذات شكل منكسر، في أسفل جدرانها توجد مقاعد يجلس عليها مرتادوا الحمام، ومن هذه السقيفة ندخل إلى المحرس، وهو في شكل قاعة كبيرة ذات أغراض مختلفة، فهي بمثابة قاعة استقبال وانتظار واستراحة، وبها ينزع ويلبس المستحمون ملابسهم، وفي ركن منها يوجد صاحب الحمام الذي يقبض الأجرة من زبائنه، وفي ناحية أخرى مكان مخصص لتحضير الشاي وبيعه للمستحمين، و هو ذو شكل قريب من المربع، يوجد على يمين الداخل مكتب خاص بالإستقبال تباع فيه متطلبات الإستحمام ويتلقى القائم على الحمام من زبائنه أجرة الإستحمام، ويتوسط هذه القاعة صحن مربع(5,35م²) مبلط

1)- ورد ذكره في: سجلات المحكمة الشرعية، المصدر السابق، ج2، ص 348. وكذلك في: سجل الوفيات، المصدر السابق، ص 44. MERCIER.E, Constantine avant la conquête, op.cit, P72 -73.

2)- ورد ذكره أيضا في: سجلات المحكمة الشرعية، المصدر السابق، ج2، ص 348. وكذلك في: سجل الوفيات، المصدر السابق، ص 44. MERCIER.E, Constantine avant la conquête, op.cit, P72 -73

3)- ورد ذكره أيضا في: سجلات المحكمة الشرعية، المصدر السابق، ج2، ص 348. وكذلك في: سجل الوفيات، المصدر السابق، ص 44. MERCIER.E, Constantine avant la conquête, op.cit, P72 -73

ببلاطات رخامية مربعة، ويحف به رواق من جهاته الأربعة، في كل رواق ثلاثة أعمدة يرتكز عليها قوسان، وفوقها تقوم قبة مضلعة خالية من أي زخرفة غطيت من الخارج بسقف خشبي يعلوها القرميد في شكل هرمي.

ترتفع أرضية هذا الرواق عن أرضية القاعة بـ0,47م، وقد كان يستخدم كمكان للإنتظار والإستراحة وتغيير الملابس، وقد وضعت فيه أفرشة ووسائد للإسترخاء بعد الإستحمام، والمبيت فيها خلال الليل، كما وضعت في أسفله دخلات بالناحية الغربي توضع فيها أحذية المستحمين.

ويوجد في الجهة الجنوبية من الضلع الشرقي للقاعة سلم صاعد، يؤدي إلى سدة خشبية تشغل الرواق الذي يلتف بالصحن من الجهات الأربعة، وهي الأخرى بها أفرشة وأغطية تستعمل للإستراحة والمبيت، ومن خلالها يمكن الوصول إلى سطح الحمام عبرباب تسبقه درجتان في سمك الحائط، كما يوجد باب آخر في الضلع الشمالي يؤدي إلى حجرة أخرى.

وعلى يسار السلم الصاعد إلى السدة يوجد ما يسمى محليا بالأوجاق، وهو مكان مخصص لتحضير الشاي، يتكون معماريا من مصطبة ترتفع فوق دعائم بارزة عن الجدار مشكلة في نفس الوقت خزائن توضع فيها أغراض مختلفة.

ومن المحرس ندخل عبر باب إلى القاعة الباردة وهي ذات شكل مستطيل سقفت بقبو برميلي فتحت فيه فتحات للإضاءة، أما أرضيتها فهي على مستويين يرتفع أحدهما عن الآخر بـ0,30م، ويوجد فيها حوضان للماء البارد، على يمينهما يوجد باب يؤدي إلى القاعة الدافئة، ولهذا الباب طريقة للغلق شاع إستخدامها في الحمامات، حيث توجد بكرة معدنية في الجدار المقابل للباب، وهي موصولة به بواسطة حبل ثبتت في طرفه كتلة ثقيلة باستطاعتها جذب الباب نحوها وغلقه بعد كل عملية فتح، وقد استخدمت هذه الطريقة لتسهيل عملية غلق الباب بعد خروج المستحم من داخل القاعة الدافئة دون أن يسده خلفه شخص وفي نفس الوقت تحافظ هذه الطريقة على دفء القاعة، وتمنع من تسرب الحرارة إلى القاعة الباردة.

القاعة الدافئة تعد من أصغر القاعات بالحمام، وهي الأخرى مغطاة بقبو برميلي موازي لقبو القاعة الباردة، وفي أسفل ضلعيها الجنوبي والشرقي يوجد مقعدان يمتدان على طول الجدارين، وهي خالية من أي حوض مائي، ولكنها تتلقى حرارتها من القاعة الساخنة التي تليها، بحيث يكفي للمستحم عند دخوله إلى هذه القاعة الجلوس لوقت قصير فيغمره الدفء إلى درجة خروج العرق منه.

يتم الوصول إلى القاعة الساخنة عبر باب يربطها بالقاعة الدافئة، وهي ذات شكل مستطيل، تتشكل من ثلاث بلاطات تفصلها بائكتان بكل بائكة ثلاثة عقود نصف دائرية ترتكز على أعمدة رخامية، وقد غطيت كل بلاطة بقبو برميلي فتحت فيه عدة فتحات دائرية للإضاءة والتهوية، أما أرضيتها فهي مكسوة ببلاطات رخامية.

في وسط القاعة يوجد ما يسمى بـ«السرة» وهي عبارة عن مصطبة مستطيلة الشكل (2,15×3,20م) ترتفع عن أرضية القاعة بـ0,48م، كسيت ببلاطات رخامية، وفي الضلع الشمالي من القاعة توجد فتحة متصلة بالصهريج الذي به الماء البارد، ومن خلال هذه الفتحة تتزود القاعة بالماء البارد، أما الماء الساخن فقد وضع له حوض يقع إلى اليسار من الفتحة السابقة، مبني بالآجر تتوسطه «برمة» معدنية، ويتم الاستحمام داخل القاعة بأن يقوم المستحم بجلب الماء في برميل بلاستيكي بعد أن يخلط البارد بالساخن حسب الحاجة.

في الضلع الجنوبي يوجد إيوانان ينفتحان على القاعة، كانا مخصصان لاستحمام العرائس، حيث يطلق عليهما مصطلح «بيت العروسة»، وهما متوازيان مع القاعة الدافئة ومتقاربان معها في الحجم والمقاسات.

يقع الفرناق في الجهة الشمالية خلف القاعة الساخنة، يتم الوصول إليه عبر باب يقع على يسار مدخل الحمام، تتقدمه ساحة غير مسقوفة كان يخزن فيها الحطب، في ناحيتها الجنوبية يوجد باب الفرناق، يليه سلم هابط مشكل من تسع درجات، والقاعة أرضيتها تنخفض عن أرضية الساحة بـ1,50م، وهي

ذات شكل مستطيل، فتح في أعلى ضلعها الشمالي على نفس مستوى أرضية الساحة فتحة عرضها 1,60م، كان يتم عبرها إدخال الحطب وإخراج الرماد.

وفي أعلى الجدار الشرقي توجد فتحة مرتبطة بخزان الماء، يخرج عبرها أنبوب معدني يمر بداخله الماء ليصب في برمة التسخين التي توجد في الجهة الجنوبية إلى داخل القاعة الساخنة، وفي أسفلها يوجد الموقد، وهو عبارة عن فتحة في جدار الفرناق تستمر إلى أسفل البرمة، ومنه تنطلق قنوات يصل عمقها على حسب صاحب الحمام إلى حوالي 80سم أسفل القاعة الساخنة لتساعد على تسخين أرضية القاعة من جهة، ومن جهة ثانية تسمح بمرور الدخان إلى المدخنة التي تقع في الضلع المقابل للفرناق بالجهة الجنوبية من القاعة الساخنة، وهي عبارة عن دعامة مبنية بالآجر، مجوفة من الداخل، يستمر ارتفاعها إلى مستوى أعلى من البنايات المجاورة للحمام حتى لا يتأذون منها.

القاعة الساخنة بحمام سوق الغزل

4/ حمام بن البجاوي:

يقع حمام بن البجاوي بحي باب الجابية، وهو يطل على شارع صلاحي الطاهر الذي يربط بين شارع العربي بن مهيدي وشارع ملاحي سليمان.

ينسب هذا الحمام إلى محمد بن البجاوي الذي كانت له مكانة كبيرة بمدينة قسنطينة خلال أواخر الحكم العثماني وبالتحديد في عهد أحمد باي، حيث كان يشغل منصب قائد الدائرة، وكان له دور بالغ في الدفاع عن المدينة أثناء حملة العدو الفرنسي الثانية، والتي فيها استشهد بتاريخ 14 رجب 1253هـ/13 أكتوبر 1837م[1].

لا يوجد هناك ما يدل على تاريخ بناء حمام بن البجاوي بالتحديد، إلا أن الشخص الذي ينسب إليه ممن عاش خلال أواخر الحكم العثماني، وإلى جانب هذا فإن الطراز المعماري والفني للحمام يدل على أن بناءه يرجع إلى الفترة العثمانية، حيث توجد به بعض العناصر المعمارية كالأعمدة وتيجانها والبلاطات الخزفية لها ما يشبهها في معالم أخرى بالمدينة ترجع إلى الفترة العثمانية، كما أن تخطيطه المعماري في جوهره لا يختلف عما كان مألوفا في المدينة خلال نفس الحقبة.

بني حمام بن البجاوي وسط مجموعة من البنايات التي تحيط به من ثلاث جهات، ولا يظهر منه سوى جزء يقع في الركن الجنوبي الشرقي حيث يقع باب الفرناق، والواجهة الشمالية، وفيها يقع المدخل الرئيسي للحمام وهو يفضي إلى سقيفة مستطيلة الشكل، ومنها ندخل إلى المحرس، وهذا الأخير ذو شكل مستطيل، يلتف حوله رواق من جهتين يقوم على أربعة أعمدة رخامية، تستند عليها عوارض خشبية مستوية فوقها سدة تشرف على وسط المحرس بسياج

1) - الزبيري (محمد العربي)، مذكرات احمد باي، المصدر السابق، ص 75.
انظر أيضا: MERCIER.E, Histoire de Constantine, op-cit, P433.

خشبي به درابزين، وترتفع فوق الأعمدة ثلاثة عقود نصف دائرية زينت واجهاتها ببلاطات خزفية حديثة.

الرواق الشرقي به مصطبة ترتفع عن أرضية المحرس بحوالي 40سم، في خلف هذا الرواق باب تتقدمه درجتان، يفضي إلى حجرة ترتفع أرضيتها عن أرضية الرواق بـ70سم، ومنها نصل إلى سطح الحمام.

الرواق الغربي هو الآخر به مصطبة، وفي زاويته الجنوبية فتح باب يؤدي إلى القاعة الباردة يبدو أنه مستحدث، أما الجهة الشمالية فالرواق بها تشغله السقيفة والحجرة التي تليها في الجهة الغربية على يمين الداخل إلى المحرس وعلى يساره توجد حجرة أخرى، وأمام هذه الحجرة بين بابها ومدخل المحرس يوجد مكتب صاحب الحمام.

الجهة الجنوبية خالية من الرواق والسدة، بها مصطبة، زين جدارها على غرار سائر جدران المحرس ببلاطات خزفية منها الحديثة، ومنها ما تعود إلى الفترة العثمانية، كما فتحت بها ثلاث نوافذ علوية تطل على سطح الحمام، ومن هذا الرواق ندخل إلى قاعات الإستحمام.

القاعة الباردة حولت في وقتنا الحالي إلى مطبخ، وقد عرفت بعض التغييرات حيث استحدث لها باب في الجدار الشمالي، ينفتح مباشرة على الرواق الغربي من المحرس، وسد الباب الأصلي الذي يبدو أنه كان يقع في الضلع الشرقي، وهي عبارة عن حجرة ذات شكل قريب من المربع يغطيها قبو متقاطع فتحت فيه فتحات دائرية للإضاءة مغشاة بالزجاج، ويوجد بركنها الجنوبي الغربي حوض صغير.

القاعة الدافئة يتم الوصول إليها عبر باب ينفتح في الضلع الجنوبي من المحرس، يليه ممر منكسر يغطيه قبو نصف دائري، يقابل الداخل باب ثاني يفضي إلى حجرة صغيرة تستغل كمخزن لأغراض الحمام، وعلى يمين الإنكسار

الأول يوجد مرحاض، وينتهي الممر بباب ينفتح مباشرة على القاعة الدافئة في وسط ضلعها الشمالي.

شكل القاعة الدافئة شبه منحرف، أرضيتها مبلطة ببلاطات رخامية حديثة، وسقفها مشكل من جزأين، أحدهما مربع مكون من قبو متقاطع فتحت فيه فتحات مغشاة بالزجاج، والثاني منحرف يغطيه قبو نصف دائري وفي أرضيتها يوجد حوض بالجهة الجنوبية يتقدمه في الجدار الغربي مقعد، وفي الجدار الشرقي فتح باب ينتهي بعقد نصف دائري، وهو يفضي إلى ممر أرضيته مبلطة ببلاطات رخامية، وسقفه غطي بقبو نصف دائري تتخلله فتحات مغشاة بالزجاج، وينتهي الممر إلى باب له نفس نظام الغلق والفتح مع باب القاعة الساخنة والدافئة بحمام سوق الغزل، ومنه ندخل إلى القاعة الساخنة.

تقع القاعة الساخنة في الزاوية الجنوبية الشرقية من الحمام، وهي ذات شكل مستطيل، أرضيتها مكسوة ببلاطات رخامية، وسقفها مشكل من أقبية في الجوانب الأربع تتوسطها قبة كبيرة ثمانية الأضلاع، فتحت بها فتحات دائرية مغشاة بالزجاج، وهي تقوم على حنايا ركنية تعلوها رقبة مثمنة مكسوة بالبلاطات الخزفية، وفي الجوانب الأربعة للقاعة توجد مقاصير صغيرة مفتوحة على وسط القاعة بفتحات معقودة، وهي ذات مقاسات مختلفة، و في الركن الغربي من الجدار الجنوبي يوجد حوض بارد، وفي الجدار الجنوبي يقع الحوض الساخن في شكل برمة دائرية في أسفلها مقعد يجلس فيه المستحمون ليسندوا ظهورهم إلى البرمة التي هي في الأصل معدنية بني حولها جدار من الآجر.

وتتم عملية الإستحمام مثل حمام سوق الغزل بواسطة دلو بلاستيكي كبير يمزج فيه المستحم الماء الساخن بالبارد، ويدخل داخل مقصورة، أما إذا رغب في أن يقوم أحد «الكياسين» بتدليكه فيتمدد في وسط القاعة على الأرض مباشرة، بينما إذا رغب في تسخين ظهره فيقوم بالجلوس على المقعد الذي أمام البرمة ويسند إليها ظهره.

يقع الفرناق خلف القاعة الساخنة، يتم الدخول إليه عبر منفذين، الأول عبارة عن باب يقع في الطرف الشرقي من الجدار الجنوبي للفرناق، وهو ينفتح على الشارع الخلفي للحمام، بينما الثاني يربطه بالمحرس، وفيه يتم الدخول من الباب الذي يقع بالجدار الشرقي من هذا الأخير، ومنه إلى الحجرة الملحقة بالحمام في هذه الناحية والتي بها سلم خشبي صاعد إلى سطح الحمام، ومنه وعبر درجات هابطة ندخل إلى الفرناق، وهذا الأخير ذو شكل مستطيل، يغطيه قبو نصف دائري، في أسفل جداره الشمالي توجد فتحة الموقد، وقد كان الحطب يأتي من الباب الخلفي للفرناق، ومنه أيضا يتم إخراج الرماد، في حين كان الدخان يمر عبر قنوات في أسفل أرضية القاعة الساخنة ليعطيها حرارة أكثر، ثم يخرج في الجهة المقابلة للفرناق داخل مدخنة.

عقود وسدة المحرس بحمام بن البجاوي

5/ فندق بني مزاب:

يقع فندق بني مزاب بنهج تليلي سعيد رقم الباب 11، بقلب المدينة حيث كان يقع سوق التجار، أخذ هذا الفندق تسميته نسبة إلى مالكه الذي يرجع في أصله إلى بني مزاب، ولا يزال الحرفيون والتجار بالفندق من الشيوخ الكبار يذكرون صاحبه الأول، وإلى جانب هذه التسمية عرف الفندق حديثا باسم «فندق الزيت»، إلا أن هذا الإسم عرف به فندق آخر بالمدينة نفسها، وهو فندق الحفصي أو فندق الزيت، الذي هدمه الاستعمار الفرنسي بعد فتح النهج الوطني (شارع العربي بن مهيدي حاليا) [1].

لقد ورد ذكر هذا الفندق في سجل الوفيات في عقد مؤرخ بيوم الثلاثاء 24 ذو الحجة 1256هـ/17 جانفي 1841م[2]، ومن غير هذا النص ليس لدينا أي إشارة تاريخية كانت أو مادية تشير صراحة إلى التاريخ الدقيق لهذا المعلم، إلا أنه من دون شك يرجع إلى الفترة العثمانية، وذلك بالنظر إلى بعض العناصر المعمارية خاصة الأعمدة وتيجانها ذات الطراز الحفصي والتركي.

تندمج واجهات الفندق مع ما جاورها من البنايات من جميع الجهات ولا يظهر منه إلا النصف السفلي من الواجهة الشرقية والنصف العلوي من الواجهة الجنوبية، ويتم الدخول إلى الفندق من خلال مدخل يقع في الضلع الشرقي يليه دهليز مغطى بقبو نصف دائري.

ينفتح الممر على الصحن في وسط الفندق، وهو ذو شكل مربع، يحيط به رواق من أربع جهات، اقتطع الرواق الغربي بسور فتح فيه باب يفضي إلى ثلاث حجرات، كما اقتطع جانب من الرواق الجنوبي استغل في بناء مرحاض والرواق يقوم على أعمدة رخامية ودعامات آجرية، تعلوها عقود نصف دائرية، يشرف اثنان منها على كل جهة من جهات الصحن.

1)- MERCIER.E, Constantine avant la conquête, op.cit, P71.

2)- سجل الوفيات، المصدر السابق، ص 99.

يحتوي الطابق الأرضي على تسع حجرات، منها ثلاثة كانت في شكل حوانيت مطلة على الشارع أغلق أحدهما وهو الأوسط لينفتح على الممر أو الدهليز المفضي إلى داخل الفندق، الحانوتان الجانبيان لهما شكل مستطيل، الأول منهما وهو الذي يقع في الركن الشمالي الشرقي يباع فيه زيت الزيتون، أما الحانوت الثالث فهو يحتل الزاوية الجنوبية الشرقية، وهو الآن مستغل في بيع المجوهرات.

أما باقي الحجرات فهي تنفتح على الصحن، حيث نجد حجرة تقع مباشرة خلف الحانوت الأوسط، اقتطع منها جزء في طرفها الجنوبي له باب يفضي إلى الدهليز، كما توجد حجرة خلف حانوت المجوهرات تنفتح على الرواق الجنوبي من الصحن، الحجرة السادسة تقع في الركن الشمالي الغربي، وهي ذات شكل مستطيل، أما الحجرة السابعة فهي تحتل الجهة الغربية من الصحن، وفي الركن الغربي الجنوبي توجد حجرتان متتاليتان يفصل بينهما جدار ينتهي بفتحة باب، وهما مسقفتان بقبو نصف دائري، يتم الدخول إليهما عبر دهليز.

الطابق الأول يتم الصعود إليه عبر سلم يقع في الركن الجنوبي الغربي، وهو يتشكل من رواق يشرف على الصحن بعقدين بكل ضلع من أضلاعه الأربعة وخلفه تتوزع مجموعة من الغرف، منها واحدة في الجهة الجنوبية، و ثلاث حجرات في الجهة الشرقية، و في الجهة الشمالية توجد حجرة متسعة ذات شكل مستطيل 7,93× 2,57م، أما الجهة الغربية فهي تضم غرفتان وقد كانت في الأصل غرفة واحدة، وبالإضافة إلى هذه الغرف التي تطل على الصحن توجد غرفتان تنفتحان على السلم الذي يقع في الركن الجنوبي الغربي.

الطابق الثاني يتشكل من سبع غرف، الغرفة الأولى تقع على يسار الصاعد من السلم بالركن الجنوبي الغربي، فبعد اجتياز خمس درجات بداية من مستوى الطابق الأول، ثم ينكسر نحو الشرق بسلم ثاني مكون من أربع درجات، يتلوها باب ينفتح على هذه الحجرة وهي تستغل كمخزن، ثم يستمر السلم الصاعد

وفي ركنه الجنوبي الغربي وعلى يسار الصاعد يوجد باب يؤدي إلى ممر فتح في ضلعه الغربي باب يفضي إلى حجرة شبه مربعة، وإلى الجنوب منها وفي نهاية الممر السابق الذكر فتح باب يفضي إلى حجرة ذات شكل مستطيل.

كما تنفتح على السلم الصاعد بعد انكساره باتجاه الشمال حجرة رابعة يتم الوصول إليها عبر درجة يليها باب، وهي مستطيلة الشكل، ثم يستمر السلم لينفتح على رواق يشرف على الصحن من الناحية الشمالية بواسطة نافذتين في منتصف ضلعه الجنوبي فتح باب يفضي إلى حجرة أرضيتها منخفضة، وهي ذات شكل مستطيل.

وفي آخر الرواق يوجد باب يفضي إلى حجرة مستطيلة، كما ينفتح هذا الرواق في طرفه الشرقي من الضلع الشمالي بواسطة باب على ساحة غير منتظمة الأضلع بين الحجرة السابقة الذكر وحجرتين أعيد بناؤهما من جديد بمواد بناء حديثة.

خاتمة:

وفي ختام هذا العرض يمكن القول أن المعالم التي تم دراستها في هذا البحث تعد أهم وأبرز المعالم الأثرية التي ترجع إلى الفترة العثمانية بمدينة قسنطينة وهي تشهد على تنوع معماري وفني كبير شهدته المدينة خلال الفترة المذكورة حيث تنوع فيها تخطيط المساجد ومآذنها ومحاريبها ومنابرها، وتعدد تخطيط الزوايا والأضرحة والمدارس والمساكن والحمامات، وعلى الرغم من ذلك التنوع الا أنها تتحد في خصائص عامة تخطيطية ومعمارية وفنية، في الكثير من الجوانب منها تشهد على استمرار التقاليد المعمارية والفنية المحلية، مع بروز تقاليد عثمانية جديدة لم تشهدها العمارة الإسلامية بالجزائر قبل العصر العثماني، على غرار المآذن المثمنة والأسطوانية، والمنابر الرخامية، واستخدام البلاطات الخزفية على نطاق واسع، والقباب المخروطية، والمدارس والمساجد المعلقة، فضلا عن استخدام خطوط عثمانية كالطغراء، واستخدام شواهد قبور تنتهي بعمائم، وغيرها من التقاليد العثمانية.